

العولمة

أولاً- مفهوم العولمة:

لقد كُتِبَ الكثير عن العولمة في الآونة الأخيرة، وعقدت ندوات ومؤتمرات عديدة حولها تناولت مفهومها وجوانبها وأبعادها المختلفة. وانتشر استخدام مفهوم العولمة بين المتقنين في العالم بشكل واسع، إلا أن الغموض ما زال يحيط به، وخاصة للعولمة جوانب متعددة اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، ولكن يمكن القول إن الجانب الاقتصادي للعولمة واضح أكثر من بقية الجوانب الأخرى حتى الآن، كما أن هناك خلطاً بين العولمة والعالمية عند البعض وهذا يقلل من وضوح مفهوم العولمة.

وفيما يتعلق بتاريخ جذور العولمة فهو قديم إذ تثبت كتب التاريخ أن فكرة توحيد العالم وفق نظام عالمي واحد يعود إلى العديد من شخصيات الحضارات الأخرى.

وعلى سبيل المثال دعا الملك الفرعوني "أخناتون" إلى تكوين دولة عالمية تخضع لقانون واحد.

ويرى البعض أن العولمة خرجت من رحم الفكر اليوناني القديم الأفلطوني والأرسطي وكانت مقابل فكرة دولة المدينة، حيث نادى أرسطو بكون بكون سياسي على أساس فكرة "الدولة العالمية" ولها حاكم وقانون واحد.

كما أن دعوة لتوحيد العالم ارتبطت بالديانات الغارقة في القدم. فالعالم في الفكر الديني هو عبارة عن وحدة واحدة وبدون حدود فاصلة.

وكان الإسلام في مقدمة الديانات التي دعت الشعوب والقبائل للتعارف والتقارب والتوحيد. ولكن عندما تدعو الديانات السماوية الشعوب للوحدة والتعاون تدعوهم من أجل مصلحتهم جميعاً. في حين دعوة الدول لفتح الأسواق وإزالة الحواجز التي تعيق حركة البضائع في ظل الفجوة الواسعة بين الدول الغنية والفقيرة ما هو إلا لتحقيق مصالح قلة من الأغنياء ليزدادوا غنى.

وبذلك تصبح العولمة مصطلحاً جديداً لمفهوم قديم، شاركت فيه بعض الحضارات الأخرى بجانب الحضارة الغربية الحديثة⁽¹⁾.

وقويت جذور العولمة في الماضي بظهور الثورة الصناعية ونشأة النظام الرأسمالي نفسه، وبالتحديد الرأسمالية الأوربية وخرجها من الأسواق الوطنية إلى الأسواق العالمية في المستعمرات للسيطرة على أسواق بلدان العالم الثالث وظهور الشركات المتعددة الجنسيات.

ولم يكن لمفهوم العولمة أي وجود قبل منتصف عقد الثمانينات من القرن العشرين. وأشار قاموس أكسفورد للكلمات الإنكليزية واصفاً إياه بأنه من الكلمات الجديدة التي برزت في بداية التسعينات من القرن الماضي. وبعد ذلك أصبح مفهوم العولمة من أكثر المصطلحات تداولاً في العالم في الغرب والشرق والشمال والجنوب، وعند مختلف فئات الناس، والتخصصات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

وإن الخلط بين مفهوم العولمة والعالمية واستخدام أحد المفهومين محل الآخر يزيد مفهوم العولمة غموضاً. فالعولمة لا تعترف بالدولة أو الوطنية أو القومية، وتقوم على الهيمنة وسيادة الأغنياء، بينما العالمية تركز التواصل بين البشر لتحقيق أهداف مادية ومعرفية

(1) مجلة الوعي الإسلامي- العدد ٤٠٨- الكويت- ١٩٩٩.

لكافة البشر، وتردد الخصوصيات والهويات المختلفة وتثريها. ويفرق المنكر الفرنسي "جان بودريان" بين المفهومين في أن العولمة تخص السوق والسياحة والتكنولوجيا والمعمارية، فهي حين تختص العالمية بحقوق الإنسان والحريات الثقافية الديمقراطية ويتم الخلط المتعمد أحياناً لإضفاء بعض صفات العالمية على العولمة أو استخدامها لمفرداتها. ويعبر عن ذلك كل من سمير أمين و"روجيه غارودي" المفكر الفرنسي. فالعولمة عند سمير أمين مفهوم مزدوج وخبيث "حيث يستمر انشغال بالأخلاق والحق والعدالة من أجل تقنين الذلح الوقح عن المصالح المستترة". ويرى غارودي أن معاني الكلمات قد شوّخت، "حيث صرنا نطلق كلمة تقدم على انحراف أقصى يؤدي إلى تدمير الإنسان والطبيعة، ونطلق أيضاً كلمة "الحرية" على نمو اقتصادي بلا غاية، ينتج بإيقاع متسارع أي شيء، سواء كان مفيداً أو غير مفيد، مؤذياً أو حتى مميتاً، كالأسلحة والمخدرات".

أما فيما يتعلق بتعريف العولمة فهو أمر شائك وحتى الآن لا يوجد تعريف واحد ومحدد لهذه الظاهرة التاريخية الجديدة التي لم تتضح كل جوانبها وحقائقها بعد. وفي الواقع من الصعب حصر وتحديد العولمة بتعريف واحد مهما كان شاملاً ودقيقاً. فالعولمة تأخذ أكثر من شكل أو صيغة. ويمكن التمييز بين العولمة الاقتصادية والعولمة الاجتماعية والعولمة الثقافية والعولمة السياسية، فكل واحد منها تختلف في مضامينها وحضورها على أرض الواقع ومظاهرها^(١).

وربما يكون تعريف رونالد روبرتسون أقدم تعريف للعولمة "إن يؤكد أن العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش". وتسارعت حركة انكماش العالم في العقد الأخير من القرن العشرين بمعدلات مذهلة، وساهم في ذلك

التطورات العلمية والمعلوماتية. وأصبح العالم يتقرب من بعضه يوماً بعد يوم.

وتقلصت المسافات الجغرافية وتقلصت معها أيضاً المسافات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإنسانية. ويرى رونالد روبرتسون أن وعي العالم بالانكماش لا يقل أهمية عن الانكماش الفعلي للعالم. لا بل أن وعي الناس بأن العالم ينكمش، ويتقرب من بعضه يعني أن العولمة قد أصبحت حقيقة معاشة في الواقع والوعي.

وعرف مالكوم واترز مؤلف كتاب العولمة "بأن العولمة هي كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد".

ويمكن تعريف العولمة "بأنها الحركة النشطة والحررة والمتسارعة للمبادلات العالمية، المالية والتجارية، وإلغاء الحدود والحواجز التشريعية والجمركية وغيرها أمام حركة تنقل السلع ورؤوس الأموال، ويمثل تطور الأنترنت والتجارة عبر هذه الشبكة العالمية ظاهرة جديدة من ظواهر عولمة الاقتصاد".

ويمكن تعريف العولمة أيضاً بأنها نمط سياسي واقتصادي وثقافي لنموذج غربي متطور خرج بتجربته عن حدوده لعولمة الآخر بهدف تحقيق أهداف وغايات فرضها التطور المعاصر.

وهناك العشرات من التعريفات الأخرى للعولمة، ولكن كما ذكرنا للعولمة جوانب عديدة.

ثانياً - العولمة الاقتصادية:

بعد الجانب الاقتصادي من أبرز مجالات العولمة، وترتكز العولمة الاقتصادية على حرية السوق وإزالة الحواجز وفتح أبواب

(١) مجلة عالم الفكر - المجلد الثامن والعشرون - العدد الثاني - أكتوبر / ديسمبر ١٩٩٩.

التبادل التجاري على مصراعيها دون أي عوائق، وتكوين التكتلات الاقتصادية الكبرى على الرغم من بقاء الحدود السياسية^(١).

وفي هذه المرحلة تعد المظاهر الاقتصادية للعولمة هي الأكثر وضوحاً واكتمالاً على أرض الواقع من العولمة السياسية والثقافية. لذلك نلاحظ أن هناك تلازماً بين العولمة والعولمة الاقتصادية. علماً أن العولمة ليس عولمة اقتصادية فقط.

منذ بداية التسعينات في القرن الماضي وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وسيادة النظام الرأسمالي تقاربت النظم الاقتصادية العالمية أكثر من أي وقت مضى. وأصبحت تحكم الاقتصاد العالمي شركات عالمية مهيمنة على الاقتصادات الوطنية والإقليمية والدولية. وأصبحت هذه الشركات متحررة من سلطة الدول إلى حد كبير، لا بل أصبحت بلا وطن حيث تتوزع فروعها في دول وقارات عديدة، وأصبحت هذه الشركات لا تؤمن بتدخل الدول في نشاطاتها، وخاصة في مجال انتقال البضائع ورأس المال والخدمات. وأصبحت هذه الشركات تتفنن بطرق التهريب من دفع الضرائب، واستفزاز الدول والحكومات لتقديم كل التسهيلات اللازمة لها لكي تقبل بالاستثمار في تلك الدول، ولن تتردد لحظة واحدة بنقل استثماراتها ومصانعها وأموالها من أي دولة إلى دولة أخرى إذا كانت مصلحتها تتطلب ذلك، حتى لو تطلب ذلك انهيار اقتصاد دولة ما. لا بل هناك مشاريع دمج علاقة بين الشركات العالمية الكبرى بهدف تقليل كلفة الإنتاج إلى أقصى مدى ممكن مستفيدة من تقدم التكنولوجيا والاتصالات ولو كلف هذا الاندماج تصريح ملايين العمال.

وتتركز نشاطات الشركات العملاقة (العابرة للقارات) في ثلاث مناطق اقتصادية عالمية كبرى هي أمريكا الشمالية، وأوروبا، وجنوب شرق آسيا والصين واليابان. ويتركز في هذه المناطق الثلاث

(١) مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٤٠٨ - مرجع سابق.

نحو ٢٠ تريليون دولار. ويبين الشكل (٤٥) النمو الاقتصادي في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والبلدان النامية بين عامي ١٩٩١-١٩٩٦.

وتشكل منظمة التجارة العالمية الحرة إحدى أركان العولمة الاقتصادية الهامة.

فهي التي تتولى إدارة العالء تجارياً. وقرارات المنظمة ملزمة لجميع دول العالم.

وتعد العولمة المالية التي هي أكثر النشاطات الاقتصادية عولمة، وخاصة في عقد التسعينات من القرن العشرين حيث قامت أسواق مالية عابرة للقارات وخارجية عن سيطرة الدول. وتتجزأ معاملاتها بحرية وبسرعة مخيفة وعلى مدار الساعة في مختلف بلدان العالم. وقد زادت الأوراق المالية الخارجة عن السيطرة المباشرة للدول من ٥٠٠ مليار دولار عام ١٩٧٨ إلى ٢ تريليون دولار عام ١٩٨٨، وارتفعت إلى أكثر من ٤ تريليونات دولار عام ١٩٩٨.

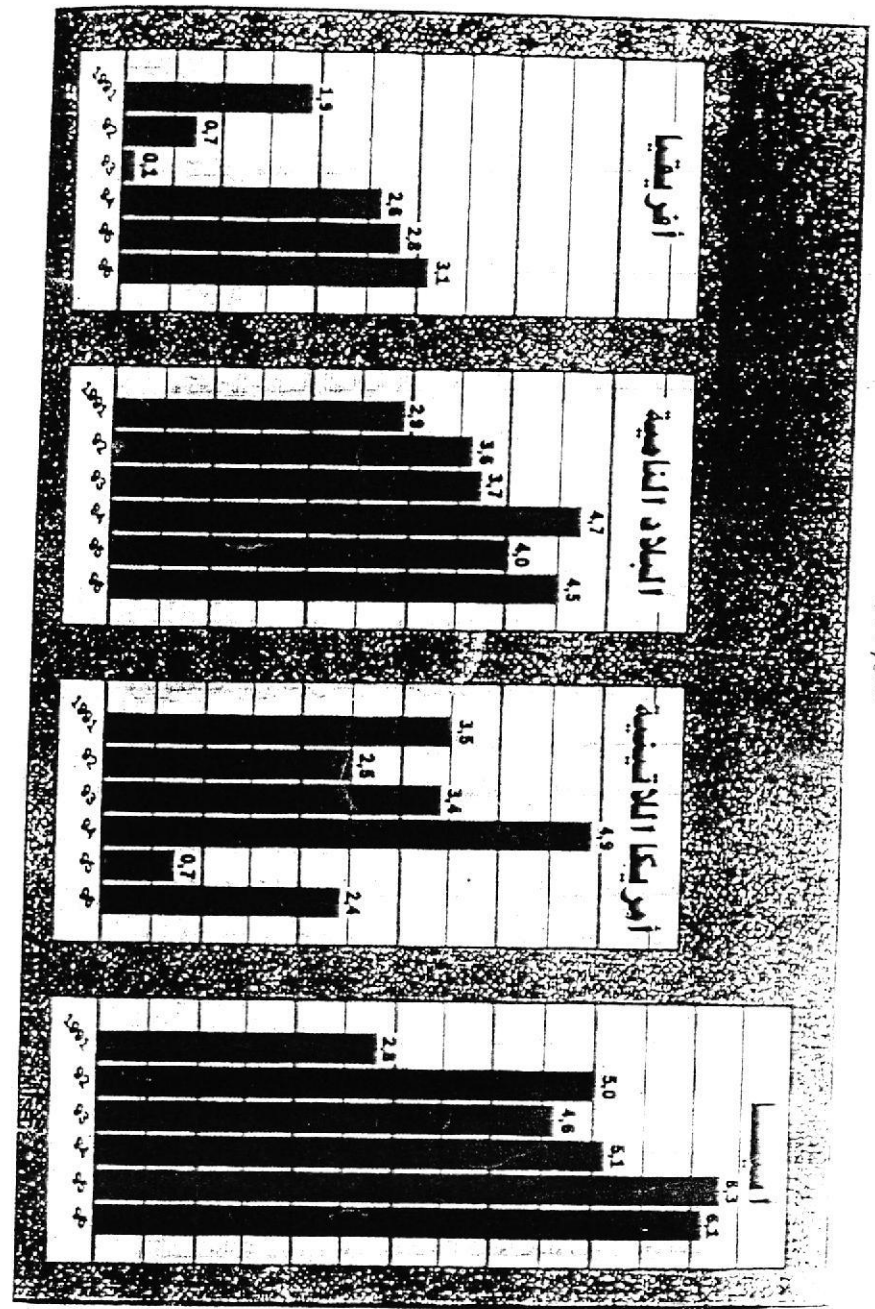
لقد أصبحت الأسواق المالية العالمية تتأثر صعوداً أو هبوطاً بالأحداث المالية في الأسواق المالية العالمية. وعلى سبيل المثال في حال خفضت دولة ما عملتها لأسباب داخلية بنسبة بسيطة لأسباب داخلية ولو كانت هذه الدولة دولة آسيوية صغيرة فيمكن أن تتسبب بإحداث انهيارات مالية في دول كثيرة، ويمكن أن تسبب الخسائر لملايين المستثمرين في مختلف بلدان العالم وخلال لحظات، ويمكن أن تؤثر في قرارات صندوق النقد الدولي ومؤسسة موديزي، والتي هي من أهم مؤسسات العولمة الاقتصادية الخفية.

لقد أسقط الاقتصاد الجغرافيا أمام شاشة الكمبيوتر والانترنت. ويُعتقد أن النظام الرأسمالي هو الأصلح، وبأنه سيجلب الرفاهية والسعادة للجميع. وهكذا تم تصوير العولمة الاقتصادية بشكلها الوردى، وخاصة بعد انهيار الاقتصاد الاشتراكي.

ثالثاً- العولمة الاجتماعية:

انطلاقاً من المنافسة المعولمة التي أصبحت تطحن الناس طحناً، وتهدد التماسك الاجتماعي، وتعمل على تعميق التفاوت في توزيع الدخل والثروة بين الناس في الدول الفقيرة والغنية على حد سواء. وعلى مستوى دول العالم هناك نحو أكثر من ٨٠ دولة من أصل ١٩٥ دولة في العالم لا يزيد معدل دخل الفرد فيها عن ٤٠٠ دولار سنوياً. في حين بلغ الفقر حداً لا يطاق في الثلاثين دولة الأكثر فقراً في العالم.

لم تفلح الليبرالية الجديدة المتطرفة في تحقيق معدلات نمو مرتفعة، وتقليص البطالة، ورفع المستوى المعيشي كما وعدت، ولا حتى لم تستطيع أن تحافظ على المعدلات التي كانت موجودة قبل عقد التسعينات من القرن العشرين، بل تدهورت الأحوال والقوة الشرائية لكثير من الفئات الاجتماعية، وازدادت نسبة البطالة والفقر، وتراجعت المكاسب الاجتماعية القديمة، وتم تخفيض الأجور وزيادة ساعات العمل. ونتيجة الخصخصة وعمليات الاندماج للشركات الكبرى تم الاستغناء عن ملايين العمال بهدف تقليل كلفة الإنتاج ورفع قدرة المنافسة وتحقيق الأرباح. وعلى سبيل المثال سرحت شركة جنرال موتورز ٢٠ ألف عامل، و١٠ آلاف كاتدر، وألغت الصناعة الحربية الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة نحو نصف مليون فرصة عمل. ويتعين على شركة الاتصالات الألمانية تصريح نحو مائة ألف مستخدم حتى تستطيع المنافسة في السوق العالمية. وفي بريطانيا تم إلغاء ١١٣ ألف فرصة عمل منذ خصخصة شركة الاتصالات في عام ١٩٨٤، وتم التخطيط لتسريح ٣٦ ألف عامل



حتى عام ٢٠٠٠، وبذلك تكون قد سرحت نحو نصف عمالها. وقس على ذلك معظم الدول الرأسمالية^(١).

وفي عام ١٩٩٥ أعلنت وزارة العمل الأمريكية بأن عدد العاطلين عن العمل يبلغ سبعة ملايين عامل. وقد علق الاقتصادي "لسترثارو" قائلاً: يجب أن نضيف إلى هؤلاء ستة ملايين آخرين يرغبون في العمل إلا أنهم تخلوا عن البحث عن فرصة عمل لفقدانهم الأمل في ذلك.

ويضاف ٤,٥ ملايين عامل آخرين مجبرين على العمل لبعض ساعات النهار فقط. وسترثرف نسبة العاطلين عن العمل إلى ٢٨%، إذا أخذنا بالحسبان نحو ١٠,١ مليون عامل ومستخدم يعملون بعقود مؤقتة، و ٨,٣ مليون يعملون لحسابهم الخاص غالبيتهم جامعيون. ويحصل خمس العاملين على أجور هي دون المستوى الرسمي للفقير حسب قول منظمة العمل الدولية التابعة للأمم المتحدة.

وقد علقت صحيفة نيويورك تايمز قائلة "إن معدل بطالة منخفضاً لا يعني كثيراً عندما يُسرح عامل يحصل على أجر يبلغ ١٥ دولاراً في الساعة، ويتحول إلى عمل آخر يحصل فيه على نصف هذا الأجر فقط".

إن المسؤول عن ضياع فرص العمل وتدهور الأجور ليس صناديق الاستثمار والمؤسسات الصناعية فقط. وإنما الحكومات الوطنية، حينما تقوم بخصخصة الاتصالات الهاتفية والبريد ومؤسسات الكهرباء والمياه وسكك نقل الحديد والنقل الجوي وغير ذلك من المؤسسات، وتفتح الباب للمتاجرة بهذه الخدمات وتمنح لأسواق الحرية على اتخاذ القرار في كل الأمور، وحتى حماية

(١) فانس - بقر مارتين - هار الدشومان - ترجمة عدنان عباس علي - فسخ العولمة - عالم المعرفة لعدد ٢٢٨ - الكويت - ١٩٩٨.

حقوق العاملين، وبذلك تتسبب في تعميق الأزمة التي أنتجت هذه الحكومات من أجل معالجتها.

الكثير من الشركات الكبرى أغلقت أبوابها وسرحت عمالها في البلدان الصناعية، وهاجرت إلى البلدان الآسيوية وغيرها لتستفيد من الإعفاءات الضريبية، وقوانين الاستثمار التي توفرها تلك البلدان، وأجور العمال الزهيدة، ففي البلدان الآسيوية في منطقة المحيط الهادي يوجد نحو ١,٥ مليار عامل تتراوح أجورهم اليومية بين دولارين ونصف وأربعة وأربعين دولاراً، في حين لا يقل الأجر اليومي في أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة عن ٩٥ دولاراً ويصل في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية عن ١٣٠ دولاراً، وفي ألمانيا ١٩٨ دولاراً.

لقد اجتمع في فندق فيررمونت في سان فرانسيسكو عام ١٩٩٥ لنيف من قادة على مستوى العالم من أمثال جورج بوش الأب ومارجريت تاتشر ورئيس مؤسسة CNN، وإلى جانب ليف من كبار أقطاب العولمة في عالم الكمبيوتر والمال، وأساتذة الاقتصاد في جامعات ستانفورد وهارفرد وأكسفورد وغيرهم فبلغ عددهم نحو ٥٠٠ شخصية ومنهم غرباتشوف آخر رئيس للاتحاد السوفييتي الذي وصف هذا الاجتماع الذي يجمع قادة العالم في مجالات السياسة والاقتصاد والمال وعلماء من مختلف القارات بأنه "هينة خبيراء جديدة". وكان المطلوب تبيان معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين، هذه الطريق التي "ستفضي إلى حضارة جديدة".

دام الاجتماع ثلاثة أيام. وكانت القواعد الصارمة تجبر المشاركين بالابتعاد عن الخطابة. ولم يُسمح للمتحدث بأكثر من خمس دقائق للتكلم عن موضوعه، والمداخلة لا تزيد عن دقيقتين.

وخرج المجتمعون بنتائج تقول، "إن ٢٠ بالمائة من السكان العاملين ستكفي في القرن القادم للحفاظ على نشاط الاقتصاد الدولي".

وهذا يعني أن ٨٠ بالمائة من سكان العالم ستعيش على فئات مواثد الأغنياء. لقد رسمت في فيرمونت الخطوط العريضة للنظام الاجتماعي الجديد: بلدان ثرية من دون طبقة وسطى تستحق الذكر.

ويرى الكاتب الأمريكي "جريمي ريفكن" مؤلف كتاب "نهاية العمل" بأن الثمانين بالمائة سيواجهون مشاكل عظيمة. ويرى آخرون أن المسألة ستكون في المستقبل هي: "إما أن تأكل أو تؤكل".

ونال اهتمام من كان في الاجتماع بشكل واسع المصطلح الذي طرحه زبنيوبرجنيسكي للمناقشة "titlytai meni". وهذا بولندي المولد وكان مستشاراً للأمن القومي في إدارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. وكان مهتماً بعد ذلك بالمسائل الجيوستراتيجية. ومصطلح برجنيسكي "مص حلم الأثداء" يستخدمه للإشارة إلى الحليب الذي يفيض عن ثدي الأم المرضع، والمتمثل في المساعدات الاقتصادية والاجتماعية التي تسد الرميح، وبمزيج من التسلية المخدرة والتغذية الكافية يمكن تهدئة خواطر سكان العالم المحبطين. كما يمكن إلهاء العاطلين عن العمل بمشاهدة الفضائيات والبرامج التلفزيونية والثقافة الاستهلاكية.

لقد بدأ التفاوت الطبقي جلياً في مختلف بلدان العالم وأصبح هؤلاء الأغنياء يسكنون في أحياء خاصة وتحت حراسة مشددة، وارتفعت ميزانيات وزارات الداخلية في مختلف بلدان العالم، وتقلصت ميزانيات التربية والتعليم والصحة، والشؤون الاجتماعية، وازدهرت شركات الحراسة الخاصة. وفي ولاية كاليفورنيا فاق الإنفاق على السجون ميزانية التعليم.

وديمقراطية العولمة التي تتحاز بشكل مطلق للأغنياء لها نصيب كبير في مظاهر التوترات الاجتماعية المتصاعدة في بلدان العالم (كالعداء للأجانب في البلدان الصناعية، وإهمال الفئات الفقيرة وما

ينجم عن ذلك من نزعات عنصرية ومظاهرات واحتجاجات، وانتشار الجريمة والعنف والمخدرات... الخ).

لقد تصور المفكر الكندي مارشال مال ماك لوهان بأن العالم سيصبح "قرية كونية متشابهة" ولكن تصوره لم يتحقق. وكثيراً ما يتم ترديد هذه الصورة على ألسنة الكثير من السياسيين والإعلاميين. وتحدثت عدة مليارات من الناس بمشاهدة حدث ما على شاشات التلفزيون هل يعني أن مستوياتهم المعاشية تتأرت؟ بالطبع لا.

لقد صور مؤلف الكتاب فخر العولمة هانس بيترمان وهارالد شومان العولمة بشكلها الحالي بأنها مدمرة للحياة الاجتماعية والاستقرار الاجتماعي.

رابعاً- العولمة السياسية:

السياسة على العكس من الاقتصاد والثقافة حيث بقيت محصورة ضمن النطاق المحلي. والدولة تحرص كل الحرص على عدم التفريط بها. واحتكار الدولة للسياسة مرتبط بمفهوم السيادة. وربما تكون السياسة لارتباطها بالمحلية من أكثر الأبعاد الحياتية مقاومة للعولمة، التي تدعو لإلغاء الحدود الجغرافية، أمام الاقتصاد والثقافة.

وعلى الرغم من المقاومة التي تبديها السياسة والدولة القومية للعولمة، تبقى العولمة السياسية مشروع مستقبلي لاحق للعولمة الاقتصادية والثقافية.

لقد بدأت تتراجع هيمنة الدولة وأصبحت سياستها قابلة للاختراق أكثر من أي وقت مضى، ولم تعد هي صاحبة القرار الوحيد، ولم تعد مسؤولة مسؤولية كاملة عن أفرادها وحدودها واقتصادها وبيئتها وأمنها.

وأصبحت العولمة السياسية ترتبط بمجموعة من القوى العالمية والإقليمية الجديدة التي برزت خلال عقد التسعينات، والتي أصبحت

-تنامي دور المجتمع المدني العالمي (المنظمات الدولية غير الحكومية):

لقد نشطت في الآونة الأخيرة هيئات واتحادات دولية مستقلة عن الحكومات، وقد يكون لها فروع وأعضاء في العديد من دول العالم، وتهتم هذه المنظمات الدولية في بعض القضايا المهنية والعالمية كحقوق الإنسان، ومساعدة اللاجئين وضحايا الحروب والأوبئة والكوارث، ومراقبة الانتخابات وغير ذلك.

-اتساع مجالات عمل الأمم المتحدة؛ على الرغم من تزامن مؤسسات الأمم المتحدة فقد وسعت، وأصبحت نشاطاتها في السنوات الأخيرة. وأصبحت تهتم بقضايا التنمية والتحول الديمقراطي و حقوق الإنسان ومكافحة الجريمة والمخدرات وحماية البيئة، إضافة إلى حفظ السلم والأمن الدوليين.

-انهيار النظام الدولي القديم و بروز ملامح نظام عالمي جديد: بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق بدأت تظهر ملامح نظام عالمي جديد وحيد القطب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وتزايد دورها في السياسة الدولية وخاصة بعد حرب الخليج، مما جعل البعض يربط العولمة بالأمركة بسعيها لصياغة النظام العالمي طبقاً لمصالحها. وانتاجها سياسة مزدوجة في تعاملها مع دول العالم في قضية الديمقراطية وحقوق الإنسان طالما يحقق مصالحها ذلك.

وفي الآونة الأخيرة تحولت الكثير من دول العالم إلى أنظمة ديمقراطية. وكان لبعض عناصر العولمة دور في ذلك. إذ أن ثورة المعلومات وسرعة الاتصالات خلقت واقعاً جديداً، فلم يعد بمقدور أي نظام سياسي مهما بلغت درجة بطشه، أن يخفي ممارساته عن العالم الخارجي.

تؤكد القضايا الألفية الذكر أن الكثير من المشكلات يصعب حلها على المستوى المحلي، بل إن الكثير من الدول لم تعد تسيطر على

تنافس الدولة في المجال السياسي وصنع القرارات. وأبرز هذه القوى العالمية الوحيدة الأوربية التي أصبحت تمتلك عملة نقدية هي اليورو، بعد تنازل الدول الأوربية عن سيادتها في مجال السياسات النقدية وربما تتطور الأمور في المستقبل لتصل إلى حد الوحدة السياسية من خلال ظهور الولايات المتحدة الأوربية. والتخلي التريجي عن السيادة للدول الأوربية، يعكس طموحاتها بأن تصبح منافسة للولايات المتحدة الأمريكية^(١).

وفي الآونة الأخيرة ارتبطت العولمة السياسية بظهور مجموعة من القضايا والمشكلات العالمية الجديدة التي تتطلب تعاون دولي وجماعي للتغلب عليها ومن أهمها ما يلي:

-تزايد المشكلات العالمية العابرة للحدود وتصاعد حدتها؛ ومن أهمها المشكلات البيئية والتلوث والتدهور البيئي، وبروز مشكلة ارتفاع حرارة الأرض، وفجوة طبقة الأوزون، والتصحر، وتدمير الغابات، وتراكم النفايات وخاصة النووية منها. والانفجار السكاني وقضية الفقر والمجاعة في العالم. ومشكلة المخدرات، والعنف والإرهاب الدولي، والأمراض الفتاكة، وجرائم غسل الأموال، والهجرة غير المشروعة وغيرها.

-تفاقم مشكلات العالم الثالث؛ وأهمها الحروب الداخلية التي تدور رحاها بين الفينة والأخرى وخاصة في قارتي أفريقيا وآسيا، والصراعات المسلحة بين الدول. والأزمة الاقتصادية، والفوارق الطبقيّة وغيرها. ولا تستطيع الدول الغنية أن تحصن نفسها من هذه المشكلات، وهذا يؤكد حقيقة الترابط العالمي.

(١) مجلة عالم الفكر - المجلد الثامن والعشرون - العدد الثاني - مرجع سابق - ص ٨٠-

شؤونها الداخلية. وهذا يعني أنها لا تتمتع بالسيادة المطلقة والاستقلالية في تقرير أمورها من خلال أجهزتها وسياساتها الداخلية.

خامساً- العولمة الثقافية:

ما تزال العولمة الثقافية تتخلف عن العولمة الاقتصادية وهي لم تكتمل بعد كما اكتملت هذه الأخيرة. وإذا كانت دول العالم تتنافس للأخذ بسلع ومنتجات وخدمات العولمة الاقتصادية، فهي أكثر تردداً وتمهلاً في اتجاهها نحو مفاهيم وأفكار العولمة الثقافية. وما تزال شعوب ومجتمعات العالم غير مطمئنة من العولمة الثقافية وغير مرتاحة للتعامل معها.

وظهرت العولمة الثقافية في التسعينات من القرن العشرين حيث ازداد الحديث عنها. وتقاربت الثقافات من بعضها أكثر من أي وقت مضى، بما في ذلك أشد المناطق الثقافية انعزالاً ورغبة في الانعزال. ولا يعني هذا ذوبان الثقافات أو الحضارات في بعضها بعضاً. ربما يكون الهدف النهائي للعولمة الثقافية ليس خلق ثقافة عالمية واحدة، وإنما خلق عالم بلا حدود ثقافية. وبالطبع مثل هذا الهدف من المستبعد أن يتحقق قريباً.

وفي ظل العولمة الثقافية فقدت الدولة القدرة على التحكم في تدفق الأفكار والقيم بين الشعوب. كما فقدت السيطرة على التداول الحر للأفكار والمعلومات عبر التقنيات ووسائل الإعلام الحديثة. ففي العالم اليوم أكثر من ألف قمر صناعي ومن المتوقع أن يزيد هذا العدد إلى ألفي قمر صناعي قريباً والتي تربط العالم ببعضه البعض بنقل الأحداث والأفكار والأخبار إلى جميع أنحاء العالم.

وأصبحت السياحة إحدى أدوات العولمة الثقافية التي تخلق نوع من التواصل عن قرب بين سكان العالم. وكان تقدم النقل وسرعته ورخصه دور كبير في زيادة عدد السواح وتلبية رغبة هؤلاء في التعرف على حضارات وعادات الشعوب البعيدة والقريبة.

وفي ظل العولمة الثقافية يزداد الوعي بعالمية العالم ووحدته، ولكن لا يعني هذا أن الهوية الثقافية الوطنية ستتراجع، أو أن الولاء للأمة والجماعة والأسرة مصيره السقوط. وإن التواصل مع القضايا العالمية كقضايا البيئة والمشاكل السكانية والفجوة بين الأغنياء والفقراء لا يعني نسيان الاهتمامات اليومية والمحلية الوطنية.

ومن الممكن للعولمة الثقافية أن تتجه نحو صراع الحضارات، أو نحو هيمنة ثقافية واحدة على الثقافات الأخرى. ويؤيد "صمويل هنتجتون" في كتابه صراع الحضارات" فرضية أن الثقافة هي المسبب الأكبر للانقسام بين الشعوب.

والمناطق الحضارية الكبرى كما يذكرها "صمويل هنتجتون" المنطقة الحضارية الأولى هي الأنكلوسكسونية، والتي تضم الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا الغربية، وهي التي تعود العالم حالياً، وتحقق إنجازات علمية ومادية كبيرة. والمنطقة الحضارية الثانية هي البوذية والكونفوشية والهندوسية، وتضم معظم دول جنوب شرق آسيا وهي تتنافس الحضارة الأنكلوسكسونية تكنولوجياً وصناعياً ومالياً. المنطقة الحضارية الثالثة هي الحضارة السلوفاكية والأرثوذكسية وتضم روسيا ومعظم دول أوروبا الشرقية.

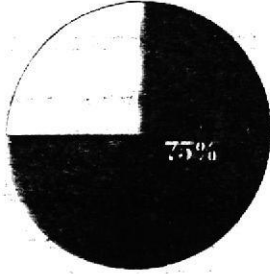
المنطقة الحضارية الرابعة وهي الحضارة الإسلامية وتضم الدول العربية وإيران وباكستان وأفغانستان وماليزيا وأندونيسيا وعدد من الدول الأفريقية، وتعاني اليوم من التعثر. المنطقة الحضارية الخامسة هي الحضارة الكاثوليكية وتضم دول جنوب أوروبا ودول أمريكا اللاتينية.

والحضارة الأخيرة هي الحضارة الزنجية في أفريقيا وتعاني من مشكلات عديدة كال فقر و عدم الاستقرار السياسي⁽¹⁾.

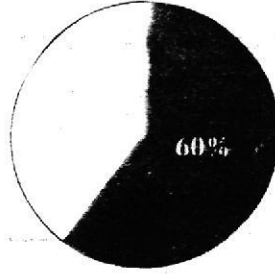
(1) مجلة علم الفكر العدد الثاني - 1999 - مرجع سابق - ص 74-79.

تصدير الأفكار الأمريكية

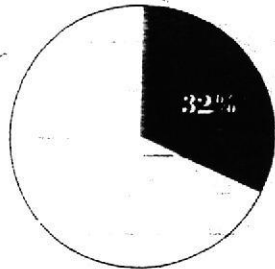
نصيب أمريكا من السوق العالمية
لموسيقى سابقة التسجيل



نصيب أمريكا من السوق العالمية من
برامج الكمبيوتر سابقة التجهيز (1994)



نصيب أمريكا من سوق الكتب العالمية (1995)



الأرقام تقديرية استناداً إلى
حجم المملوك للولايات المتحدة
والمرخص بتصنيعه في الخارج
مضافاً إليه حجم المبيعات
المحلية في العام 1996

المصدر: Business Software Alliance, Recording Industry Association of America, Euromonitor Plc.

وتقدر معاملات صناعة الاتصالات في العالم في عام ٢٠٠٠ بنحو ألفي مليار دولار أمريكي، أي نحو ١٠% من التجارة العالمية، وبلغ رأسمال صناعة الراديو والتلفزيون في الولايات المتحدة بنحو ٥٠ مليار دولار عام ١٩٩٥، وحقت أرباحاً نحو ١٥ مليار دولار وذلك في الأشهر العشرة الأولى من العام المذكور.

وإن احتمال دخول هذه المناطق الحضارية في حروب مستقبلية أمر وارد مستقبلاً، وخاصة أن الحضارة الأنكلوسكسونية تحاول فرض نفسها، وتشعر الحضارة الإسلامية بأنها مستهدفة في قيمها وقناعاتها من قبل الحضارة الأنكلوسكسونية.

وسكننا القول إن الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر بشكل كبير على حركة المرور الكونية في مجال المعلومات والأفكار. فالأفلام والبرامج التلفزيونية والموسيقى وبرامج الكمبيوتر الأمريكية، هي الأكثر رواجاً ومشاهدة في كوكبنا. وأصبحت تؤثر في أذواق وتطلعات الأمم. وينظر إليها في كثير من الأحيان بأنها مفسدة.

وبين الشكل (٤٦) نصيب أمريكا من السوق العالمية من برامج الكمبيوتر، والموسيقى سابقة التسجيل، والكتب العالمية.

وأصدرت فرنسا وكندا قوانين تحظر نشر ونقل مواد أجنبية (أمريكية) مأخوذة من الأقمار الصناعية عبر حدودها أو إلى بيوت مواطنيها، كما تقوم الكثير من الدول الآسيوية من عرقلة وصول برامج الكمبيوتر الأمريكية، بهدف إبعاد ما يبثه الأمريكيون من وجهات نظر سياسية وعادات وما يمكن اعتباره فحشاً.

إن رجال الأعمال في مختلف بلدان العالم، في بيونس آيريس، ولوس أنجلوس، ومكسيكو سيتي، ونيويورك، وباريس، وستغافورة، وطوكيو، وموسكو، يقرأون جميعاً الصحف نفسها، ويرتدون البدلات نفسها، ويقودون السيارات نفسها ويستمعون الموسيقى نفسها.

في الوقت الذي تقسم الثقافة شعوبهم، هم أدركوا أن المنافسة في السوق العالمية تتطلب فهم التكيف مع ثقافة السوق^(١).

(١) مجلة الثقافة العالمية - العولمة وصدام الحضارات - العدد ٨٥ - الكويت - ١٩٩٧.

وتحتل صادرات المنتجات الثقافية الأمريكية المرتبة الثانية بعد الطائرات، وبلغت قيمة الأفلام المصدرة لأوروبا نحو ٣,٧ مليار دولار وذلك في عام ١٩٩٢. وتحاول أوروبا الموحدة مواجهة التحديات الاقتصادية والثقافية التي تفرضها صناعة المعلومات والترفيه الأمريكية^(١).

من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية والسياسية أن تسود اللغة الإنكليزية، وإذا كان العالم يتحرك باتجاه معايير مشتركة في مجالات الاتصالات، والأمان فستكون هذه المعايير معايير أمريكية، وإذا كان العالم سيصبح مترابطاً من خلال الإذاعة والتلفزيون والموسيقى فإن البرامج ستكون أمريكية. وفي حال كان يتم تطوير قيم مشتركة، فإنها ستكون قيماً يرتاح إليها الأمريكيون.

سادساً- أذرع العولمة (أدوات العولمة):

تمتد أذرع العولمة في مختلف بلدان العالم، من خلال الشركات المتعددة الجنسية التي تقفز فوق حدود الدول والقيم الإنسانية وهدفها الوحيد الربح وجمع الثروة. ويعد صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية الحزرة من الأدوات الطبيعية لفرض الشروط على الدول الضعيفة للسير في طريق العولمة. وسخرت قوى العولمة الثورة العلمية والتكنولوجية وتقدم تقنية المعلومات والاتصالات في العقد الأخير من القرن العشرين لتصبح الطاقة المبردة والمحركة للعولمة.

- لشركات المتعددة الجنسية:

يوجد في العالم نحو ٣٧ ألف شركة عابرة للحدود تتوزع في دول لعالم مع فروعها البالغ عددها نحو ١٧٠ ألف. ومنذ التسعينات من القرن الماضي أصبحت هذه الشركات تقبض بصلاية على

(١) عالم الفكر المجلد الثامن والعشرون - العدد الثاني - مرجع سابق.

الاقتصاد العالمي، ومن خلال ملياراتها التي تنتقل بسرعة الضوء تحدد أسعار الصرف الأجنبي، والقوة الشرائية لبلدان العالم، وعلامتها إزاء بقية عملات بلدان العالم، وتتوزع الشركات الكبرى في بعض البلدان كالتالي: اليابان ٦٢ شركة، والولايات المتحدة الأمريكية ٥٣، وسويسرا ٨١، وألمانيا ٢٣، وفرنسا ١٩، وبريطانيا ١١، وكوريا الجنوبية ٦، وإيطاليا ٥، وهولندا ٤ شركات.

وقد أفرزت هذه الشركات فئات اجتماعية عابرة للقارات، إذ أن ٣٥٨ شخصاً من أصحاب المليارات يملكون من الثروة ما يملكه نحو نصف سكان العالم.

وهكذا تعتبر الشركات المتعددة الجنسيات هي الأداة الرئيسية للعولمة، فمن خلالها تتم عملية عولمة رأس المال والإنتاج والتصريف، وانتقال المعلومات وشبكة الإعلام وغير ذلك.

وقد تلجأ بعض الشركات الكبرى إلى التخصص في إنتاج سلعة ما بمختلف مراحل إنتاجها، دون أن تتركز في بلد واحد. وقد تلجأ الشركات المتعددة الجنسية إلى تعدد الأنشطة التي تعمل بها دون أن يكون هناك رابطة بين المنتجات المختلفة وعلى سبيل المثال شركة التليفون والتلغراف الدولية" تملك شركة فنادق شيراتون، وتعمل شركة "تايم وارنر" بعدد كبير من شركات النشر والإعلام والملاهي، مثل ستوديوهات هوليوود وشبكة (CNN) والتلفزيون بالكابل.

وتعد ظاهرة اندماج الشركات والمصارف ظاهرة نشطة في الآونة الأخيرة. حيث تبتلع الشركات الكبرى الشركات والمصارف الأضعف منها. ويسمى البعض هذه الظاهرة "التكامل المعولم"، والبعض الآخر "وليمة المفترسين" والهدف من هذه العملية تقوية القدرة التنافسية للشركات العملاقة. إلا أن لهذه العملية سلبيات عديدة منها تصريح أعداد كبيرة من العمال، وإضعاف سيادة الدولة الوطنية،

وقدرة الحكومات على ممارسة الرقابة، كما تقضي على دور النقابات العمالية.

وفي النصف الأول من عام ١٩٩٩ تمت نحو ٢٥٠٠ عملية اندماج وابتلاع عبر الحدود، قُدرت قيمتها بـ ٤١١ مليار دولار.

وجرت عمليات اندماج لشركات عديدة تعمل في مجالات عديدة منها صناعة السيارات والطائرات والألومنيوم.

وفي القطاع المصرفي، أعلنت ثلاثة مصارف يابانية عن تشكيل شركة عملاقة ابتداء من خريف عام ٢٠٠٠، مما سيؤدي إلى ولادة أكبر مجموعة مصرفية في العالم برأسمال قدره ٤٢ مليار دولار. وفي حال نجاح مشروع الدمج الفرنسي لبنوك "ناسيونال دي باري" و "سوسيتيه جنرال" و "باريبا" فإنه ستظهر المجموعة المصرفية الثالثة في العالم برأسمال قدره ٩٥٧ مليار أورو^(١).

وتحل الشركات المتعددة الجنسية محل الدول القومية في الأونة الأخيرة. وتقوم هذه الشركات بتطوير استراتيجيات اقتصادية ومالية عالمية لتستطيع التحرر من وصاية الدول والسيطرة عليها. وعلى سبيل المثال حققت الشركة الأمريكية "جنرال موتورز" عام ١٩٩٦ مبيعات قيمتها ١٧٠ مليار دولار وهذا المبلغ يقترب من الناتج القومي للدنمارك وهو ١٧٥ مليار دولار.

نعم لقد أصبحت الشركات العابرة للقارات ترعب الحكومات وتخيب وتجرد الجميع مما لديهم من سطوة. من بين ما يقارب من أربعين ألف شركة تمتلك مصانع في ما يزيد عن ثلاث دول، وصلت قيمة مبيعات المائة الكبرى منها إلى نحو ١,٤ بليون دولار في العالم الواحد. وتسيطر الشركات المتعددة الجنسية على ثلثي التجارة

(١) مجلة العربي - العدد ٤٩٤ - الكويت - عام ٢٠٠٠ - ص ٣٩-٤٢.

العالمية. لذلك أصبحت هذه الشركات محور العولمة والقوة الدافعة لها.

لقد أصبحت الشركات العابرة للقارات تستنزف أموال الدولة وتفرض شروطها وتلقي كل التسهيلات مثل الحصول على قطع الأراضي وكل ما هو ضروري من البنى التحتية كالماء والكهرباء والطرق والسكك الحديدية بلا ثمن. وتقيم شركة مرسيدس معملاً للسيارات في فرنسا من فئة الحجم الصغير، وسيتحمل دافعو الضرائب في فرنسا ودول الاتحاد الأوربي الأخرى نحو ربع المبالغ المستثمرة، إضافة إلى الإعفاءات الضريبية المتوقعة، وبذلك تدفع الدولة نحو ثلث المبالغ المستثمرة. ومثال آخر ولاية ألاباما الفقيرة نسبياً في الولايات المتحدة الأمريكية، فعندما أقامت شركة مرسيدس بنز مصنعاً هناك تحملت ٥٥% فقط من مجموع بناء المصنع.

وتقوم الشركات الكبيرة بتشغيل الأيدي العاملة الرخيصة وفي حال مضايقتها في البلدان التي ترفع أجور العمال تقوم بنقل الشركات أو فتح فروع لها في دول أخرى تتوافر فيها الأيدي العاملة الرخيصة. ومثال ذلك فتح فروع لشركات عملاقة متخصصة في صناعة الكمبيوتر والبرمجيات في الهند في مدينة بنجالورا، حيث أمنت لهم حكومة نيودلهي كل ما هو ضروري من مكاتب مكيفة وبنية تحتية ووسائل اتصال عبر الأقمار الصناعية. ومن الشركات التي كان لها فروع في تلك المدينة شركة سمينز، وتوشيبا، وميكروسوفت، ولوتس.

وتحققت مبيعات بقيمة وصلت إلى ١,٢ مليار دولار. إلا أن زيادة أعداد السيارات في مدينة بنجالورا بسبب الازدهار تسبب في تلوث الهواء لدرجة لا تطاق، لذلك غادرتها ورش صناعة برامج الكمبيوتر مفضلة بوفا عليها.

٢- منظمة التجارة العالمية الحرة:

لقد ارتقت اتفاقية الغات (الاتفاقية العامة بشأن التعرفة الجمركية) (GATT) من مستوى الاتفاقية إلى مستوى المنظمة هي المنظمة العالمية للتجارة الحرة (WTO) والتي أصبحت سارية المفعول من بداية عام ١٩٩٥ وتشمل المنظمة ثلاثة مجالات متخصصة هي:

- مجلس التجارة في السلع.

- مجلس التجارة في الخدمات.

- مجلس التجارة في حقوق الملكية الفكرية.

إن ارتقاء اتفاقية الغات إلى منظمة عالمية لا يتعلق بالتسمية فقط بل بالمضمون.

وتضم منظمة التجارة العالمية في عضويتها أكثر من ١٤٠ دولة وهناك نحو ٣٠ دولة أخرى تمر في المراحل المختلفة من إجراءات الانضمام إلى عضويتها. وتعهدت الدول التي انضمت إلى المنظمة بخفض الرسوم الجمركية على التجارة الخارجية، وإزالة كل العوائق التي تقف أمام تدفق السلع والخدمات.

ولمنظمة التجارة العالمية موقع متقدم في العولمة الاقتصادية، حيث تتولى إدارة العالم تجارياً، من خلال تطبيق مبادئها ويأتي في مقدمتها مبدأ الشفافية التامة تجاه المعلومات والممارسات التجارية. وقرارات المنظمة ملزمة لجميع الدول بما في ذلك الدول العظمى.

وتهدف منظمة التجارة العالمية إلى فتح الأسواق وانتقال السلع بحرية تامة على الصعيد العالمي، على أمل تنشيط التجارة العالمية وزيادة النمو الاقتصادي العالمي وتحقيق الرفاهية لشعوب العالم كما تدعي العولمة ومؤسساتها^(١).

(١) مجلة عالم الفكر العدد الثاني - ١٩٩٩ - مرجع سابق - ص ٢١-٢٢.

ومنظمة التجارة العالمية لا تعطي أية فوائد مباشرة وإنما هي الإطار الذي يؤمن القواعد، فإذا كانت الدولة قادرة على المنافسة فيمكنها المنافسة، وهذا لا يعني أن كون الدولة عضوة في منظمة التجارة العالمية أن دخلها القومي سيزداد، ويمكن القول إذا كانت القواعد الاقتصادية التي تتبعها سليمة سترد قدرتها التنافسية وفي حال تعرض الدولة لصعوبات في التصدير فإن المنظمة لا تأتي لتجلبها.

ويرى أودينسي كيسي الخبير في منظمة التجارة العالمية أن المنظمة تدار من قبل أعضائها ولا يوجد فيها قوانين وأنظمة جاهزة وإن كل ما يقدم لها هو مجال للبحث والتفكير أو التفاوض، لذلك على الدول النامية أن تحضر دائماً هذه المناقشات والمفاوضات لكي تظهر وجهات نظرها ولكي تجعل رأيها مسموعاً في هذه المنظمة، وإن القرارات في المنظمة تتخذ على أساس الإجماع فالموضوع ليس موضوع قوة أو عدم قوة، أو اقتصاد ضعيف أو اقتصاد قوي. ولكن أي ديموقراطية تكون بين القوي والضعيف، وشراسة الذئب والحمل، وهل تستطيع الدول النامية منافسة الدول المتقدمة؟.

وتم تعزيز منظمة التجارة العالمية بتوقيع ٧٠ دولة على اتفاقية الخدمات المالية عام ١٩٩٧، وبذلك تم فتح قطاع الخدمات المالية لتلك الدول، والتي تجري في أسواقها نحو ٩٥% من تجارة المصارف والتأمين والأوراق المالية.

لقد خططت منظمة التجارة العالمية لعقد جولة الألفية من المحادثات التجارية، وتتناول موضوعات تتصل بالزراعة والتجارة في سيائل في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في الفترة الواقعة بين (١١/٢٩-١٢/٣-١٩٩٩) إلا أن المظاهرات وأعمال الشغب المنظمة

(١) صالح وهبي - منظمة التجارة العالمية الحرة وتأثيرها في الاقتصاد السوري - الندوة الجغرافية الثالثة - دمشق - ١٩٩٩.